

يا عمال العالم، اتحدوا!

طريق البلشفية



سؤالين

فضايا الثورة الصينيّة

أطروحات للدّعاية

أقرتها اللّجنة المركزيّة للحزب الشيوعيّ البلشفي في الاتّحاد السّوفيتي

21 نيسان 1927

ترجمة

محمد علي العربي

نشر البلشفية العربيّة

تونس، آذار 2012

المصدر المعتمد في الترجمة:

QUESTIONS OF THE CHINESE REVOLUTION

Theses for Propagandists, Approved by the C.C., C.P.S.U.(B.)

J. Stalin: Works, Vol. 9, p. 224-234

Foreign Languages Publishing House

Moscow, 1954

1. آفاق الثورة الصينية

- العوامل الأساسية التي تحدّد طابع الثورة الصينية هي:
- أ. وضع الصين كشيبة مستعمرة وهيمنة الإمبريالية عليها ماليا واقتصاديا؛
 - ب. ما تمارسه بقايا الإقطاع من اضطهاد واشتداده بما تمارسه العسكرية والبيروقراطية من اضطهاد؛
 - ت. التضال الثوري العظيم الذي تخوضه جماهير العمال والفلاحين الواسعة ضدّ الاضطهاد الإقطاعي والبيروقراطي وضدّ الإمبريالية؛
 - ث. ضعف البرجوازية الوطنية السياسي وتبعيتها للإمبريالية وخوفها من أن تزيجها الحركة الثورية؛
 - ج. نشاط الطبقة العالمة الثوري العظيم وعلوّ هيبتها بين الجماهير الشّغيلة؛
 - ح. وجود دكتاتورية الطبقة العالمة بجوار الصين؛
- لذا، سيكون لتطوّر الأحداث في الصّين طريقان:
- إمّا أن تسحق البرجوازية الوطنية الطبقة العالمة وتقيم اتفاقا مع الإمبريالية وتشنّ معها حملة على الثورة لتضع لها حدّا يرأسه سلطة الرّأسمالية؛
- وإمّا أن تزج الطبقة العالمة البرجوازية الوطنية عن طريقها وتقوي من هيبتها وتأخذ على عاتقها قيادة الجماهير الواسعة من الشعب الشّغيل في المدينة وفي البلاد في سبيل هزم مقاومة البرجوازية الوطنية وضمان انتصار الثورة الديمقراطيّة البرجوازية انتصارا كاملا لتحوّل هذه الثورة، تدريجيّا، إلى ثورة اشتراكية بكلّ ما يترتّب عن ذلك.
- إنّ أزمة العالم الرّأسمالي ووجود دكتاتورية الطبقة العالمة في اتّحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية، التي يمكن استخدام تجربته بنجاح من جانب الطبقة العالمة الصينية، إنّها يدفغان كثيرا إلى أن تسلك الثورة الصينية الطريق الثاني.

ومن ناحية أخرى، تضرب الإمبريالية الثورة الصينية، أساساً، بجهة متحدة. ولا يوجد الآن بين الإمبرياليين انشقاق وحروب، مثلما كان عليه حال المعسكر الإمبريالي قبل ثورة أكتوبر مما يسبب ضعف الإمبريالية؛ فهذا الواقع يشير إلى أنّ الثورة الصينية ستعترضها، في طريقها إلى النصر، صعوبات أكبر من تلك التي اعترضت ثورة أكتوبر وأنّ الانسحابات والحيلانات ستكون أكثر مما كان في الحرب الأهلية في اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية بما لا يقاس. لذا، فإنّ الصراع بين هذين الطرفين للثورة هو السمة المميزة للثورة الصينية. ولهذا السبب، على وجه التحديد، فإنّ مهمّة الشيوعيين الأساسية هي الكفاح في سبيل انتصار الطريق الثاني في انتصار الثورة الصينية ❁

2. أولى مراحل الثورة الصينية

في أولى مراحل الثورة الصينية، زمن الحملة الأولى على الشمال، حيث كان الجيش الوطني يقترب من نهر يانغ تسي وينجز النصر تلو النصر، لكن دون أن تكون قوّة الحركة العمالية والفلاحية قد عظمت بعد، سائرت البرجوازية الوطنية (وليس الكمبرادورية) الثورة.

لقد كانت ثورة كلّ الجبهة الوطنية المتحدة.

لا يعني ذلك أنّه لم تكن هنالك تناقضات بين الثورة والبرجوازية الوطنية. فكلّ ما يعنيه ذلك أنّ البرجوازية الوطنية، إذ تساند الثورة، فإنّها تحاول أن تستغلّها لمصلحتها الخاصة، وأنّ تحدّ من مداها خلال قيادتها لكامل مسار السيطرة على الأراضي. والصراع بين اليمينيين واليساريين في الكيومينتانغ هو مظهر تلك التناقضات في تلك المرحلة.

إنّ محاولة تشان كاي-تشيك طرد الشيوعيين من الكيومينتانغ كانت أول محاولة جدية من جانب البرجوازية الوطنية لمحاربة الثورة. وكما رأينا، كانت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي البلشفي في الاتحاد السوفيتي قد اعتبرت أنّ «على الخط أن يقوم على بقاء الحزب الشيوعي في الكيومينتانغ». وأنّ من الضروري أن «يتجه العمل نحو إما أن يستقيل اليمين من الكيومينتانغ أو يطرد منه» (نيسان 1926).

كان هذا الخط مما قاد إلى تعاظم تطوّر الثورة وتعاون متين بين اليساريين والشيوعيين في الكيومينتانغ وفي الحكومة الوطنية وتقوية وحدة الكيومينتانغ وفي ذات الوقت فضح اليمينيين في الكيومينتانغ وعزلهم وإجبارهم على الخضوع لاضباط الكيومينتانغ لاستغلال ما لهم من صلات وتجربة أو طردهم من الكيومينتانغ إن خرقوا انضباطه و خانوا مصالح الثورة.

لقد أكّدت الأحداث اللاحقة صحّة هذا الخط تأكيدا تاما. فقد حدث تطوّر عظيم في الحركة الفلاحية وتنظيم الجمعيات الفلاحية ولجان الفلاحين في الأرياف، وموجة قوية من الإضرابات في المدن، وتأليف المجالس النقابية، وحملة الجيش الوطني المظفّرة على شنغهاي مما استدعى إرساء البواخر الحربية وإنزال الجيوش الإمبريالية — هذه الأحداث وأخرى مائة تشير إلى أنّ الخط المعتمد هو الخط الصحيح الوحيد.

وتفسّر هذه الحالة لوحدها أنّ سعي اليمينيين في شباط 1927 إلى تقسيم الكيومينتانغ وتركيز مركز جديد عوضا عنه في نان شانغ قد فشل أمام ما أبداه الكيومينتانغ الثوري في ووهان من إجماع على مقاومتهم.

لكنّ تلك المحاولة كانت إشارة إلى أنّه قد حدث في البلاد تجمّع للقوى وأنّ اليمينيين والبرجوازية الوطنية لم يستسلموا وأتمّ سيشددون من نشاطهم ضدّ الثورة.

لقد كانت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفيتي على صواب عندما أعلنت في آذار 1927 أنّ:

﴿أ﴾. في الوقت الحالي، وارتباطا بتجمع القوى الطبقيّة وتمركز الجيوش الإمبرياليّة، تمرّ الثّورة الصّينيّة مرحلة دقيقة، ولن تبلغ نجاحاتها المقبلة إلا إذا تبنّت، بكلّ حزم، تطوير الحركة الجماهيرية؛

ب. من الضّروري قبول عملية تسليح العمال والفلاحين وتحويل لجان الفلاحين الجهويّة إلى أجهزة حقيقية للسلطة الحكوميّة مجهزة بسلاح الدفاع الدّاتي؛

ت. لا يجب على الحزب الشيوعي أن يفظ الطرف عن سياسة الحيانة الرجعيّة عند يمين الكيومينتانغ، ويجب عليه أن يعبأ الجماهير حول الكيومينتانغ والحزب الشيوعي الصّيني قصد فضح المميّتين. ﴿3﴾ آذار (1927)

إذن، سيكون من السّهل أن نفهم أنّ سيل الثّورة الجارف من حمّة أولى، والعدوان الإمبريالي على شنغهاي من حمّة ثانية، قد كانا في صلة بدفع البرجوازيّة الوطنيّة إلى معسكر الثّورة المضادّة مثلما كانت سيطرة الجيش الوطني على شنغهاي وإضرابات العمال فيها في صلة بتوحد الإمبرياليين لسحق الثّورة.... وذلك ما حصل. فمجزّة نانكين هي بمثابة تمايز جديد في القوى المتناحرة في الصّين. فبإمطار شنغهاي بالقنابل وتقديم أجل إنّما يريد الإمبرياليون أن يبيّنوا أنّهم يسعون إلى تقديم العون للبرجوازيّة الوطنيّة قصد صراع مشترك ضدّ الثّورة الصّينيّة. ومن ناحية أخرى، فتح تشان كاي-تشيك الثّار على اجتماعات العمال ونسج انقلابا بمثابة الاستجابة لطلب الإمبرياليين، فكأنّ لسان حاله يقول أنّه جاهز ليعقد بينهم وبين البرجوازيّين الوطنيّين اتّفاقا ضدّ العمال والفلاحين الصّينيّين ❀

3. ثاني مراحل الثورة الصينية

مثل انقلاب تشان كاي-تشيك مغادرة البرجوازية الوطنية الثورة وبروز مركز مضاد للثورة قومي وعقد اتفاق بين يمين الكيومينتانغ والإمبريالية ضد الثورة الصينية.

انقلاب تشان كاي-تشيك يعني أنه قد أصبح في جنوب الصين معسكران وحكومتان وجيشان؛ مركزان: مركز الثورة في ووهان ومركز الثورة المضادة في نانكين.

انقلاب تشان كاي-تشيك يعني أن الثورة قد دخلت ثاني مراحل تطورها وأن الاندفاع الذي كان قد بدأ بثورة كلّ الجبهة الوطنية المتحدة قد أصبح ثورة جماهير واسعة من العمال والفلاحين، أصبحت ثورة زراعية ستمكّن من تقوية التضال ضدّ الإمبريالية توسيعه وضدّ التّلاء والأسياذ الإقطاعيين وضدّ العسكريين ومجموعة تشان كاي-تشيك المضادة للثورة.

يعني ذلك أن الصراع بين طريقي الثورة؛ بين هذا الذي يسهّل تطورها وذاك الذي يسهّل تصفيتها، ستزداد حدّته يوماً بعد يوم، وسيملاً كامل المرحلة الحالية من الثورة.

يعني ذلك أن الكيومينتانغ الثوري في ووهان سيصبح فعلاً جهاز دكتاتورية العمال والفلاحين الديمقراطية الثورية إذا ما خاض نضالاً حازماً ضدّ العسكرية والإمبريالية. أما مجموعة تشان كاي-تشيك المضادة للثورة في نانكين فطالما أنّها تقطع صلتها بالعمال والفلاحين وتتقرّب من الإمبريالية، ستؤول إلى ذات مصير العسكريين.

لكن ينجح عن ذلك أن سياسة الحفاظ على وحدة الكيومينتانغ؛ سياسة عزل اليمينيين داخل الكيومينتانغ واستخدامهم لأهداف الثورة، لا تناسب المهام الجديدة للثورة ويجب استبدالها بسياسة حازمة لطرد يمين الكيومينتانغ، بسياسة

حازمة ضدّ اليمينيين حتّى يقع التغلّب عليهم سياسيًا بصورة تامة، بسياسة تركّز كلّ قوّة البلاد في أيدي كيومينتانغ ثوري، كيومينتانغ ثوري من دون عناصره اليمينية، كيومينتانغ ككتل من يسار الكيومينتانغ والشّيعيين.

كما ينبج عن ذلك أيضا أنّ سياسة التعاون المتين بين اليساريين والشّيعيين في الكيومينتانغ، الذي أكنسى أهمية ومغزى خاصين في هذه المرحلة، تعكس التحالف بين العمال والفلاحين الذي يتشكّل خارج الكيومينتانغ، ومن دون مثل ذلك التعاون يستحيل انتصار الثورة.

كما ينبج عن ذلك أيضا أنّ المصدر الأساسي لقوّة الكيومينتانغ الثّوريّة يكمن في مواصلة تطوّر حركة العمال والفلاحين الثّوريّة وفي تقوية منظماتها الجماهيرية – لجان الفلاحين الثّوريّة، نقابات العمال، وغيرها من المنظمات الجماهيرية الثّوريّة -، من جهة أنّها عناصر تحضيريّة للسوفييتات المقبلة، وفي أنّ الصّانة الرّئيسية لانتصار الثورة هي عمق النشاط الثّوري عند أوسع الجماهير من الشعب الشّغيل، وفي أنّ المصل المضادّ للثورة المضادّة هو تسليح العمال والفلاحين.

كما ينبج عن ذلك أخيرا أنّ على الحزب الشّيعي، إلى جانب نضاله في صفوف الكيومينتانغ الثّوري نفسه، أن يحافظ على استقلاليته أكثر من أي وقت مضى، من جهة أنّها شرط جوهري لضمان هيمنة الطبقة العمالية على الثورة البرجوازية الديمقراطيّة ❁

4. أخطاء المعارضة

الخطأ الأساسي عند المعارضة (راديك وشركاؤه) أنّها لا تفهم طابع الثورة في الصين والمرحلة التي تجتازها وإطّارها العالمي الحالي.

تطالب المعارضة بأن تتطوّر الثورة الصينيّة بنفس الوتيرة التي تطوّرت بها ثورة أكتوبر تقريباً، والمعارضة غير راضية لأنّ عمال شنغهاي لم يخوضوا معركة فاصلة ضدّ الإمبرياليّين وأعدائهم.

لكنّ المعارضة لا تفهم أنّ الثورة في الصين لا يمكنها أن تتطوّر بوتيرة سريعة بسبب أنّ الوضع العالمي الحالي هو أقلّ ملائمة مما كان عليه عام 1917 (ليس الإمبرياليّون في حالة حرب فيما بينهم).

إنّما لا تفهم أنّ المعركة الفاصلة لا يمكن أن تكون في ظروف غير ملائمة؛ حين يكون الاحتياطي غير جاهز مثلما هو حال البلاشفة فلم تكن معركتهم فاصلة في نيسان وآب من عام 1917.

لا تأخذ المعارضة بالحسبان أنّه إذا لم تنفادى معركة فاصلة في ظروف غير ملائمة (عندما يكون من الممكن تفادياها) إنّما يعني جعل الأمور أسهل على أعداء الثورة.

تطالب المعارضة بتأليف سوفيتيّات نواب العمال والفلاحين والجنود في الصين فوراً. لكن ماذا نعني بتأليف السوفيتيّات؟

في المقام الأول، لا يمكن تأليفها في أيّ وقت نرغب. فلا تتألّف إلاّ خلال موجة عالية على نحو خاصّ خلال سير الثورة.

وفي المقام ثاني، وإذا ما أردنا قولاً جيّداً، لا تتألّف السوفيتيّات، أساساً، إلاّ كأجهزة نضال ضدّ السّلطة القائمة، كأجهزة نضال في سبيل السّلطة. ولقد كان الحال كذلك عام 1905. تماماً مثلما كان الحال في عام 1917.

لكن ماذا يعني تأليف السوفيتيّات من الجهة العمليّة في الوقت الحالي، مثلاً حكومة ووهان؟

يعني ذلك في هذا المجال رفع شعار النضال ضدّ السّلطة القائمة. ويعني ذلك رفع شعار تأليف أجهزة سلطة جديدة؛ شعار النضال ضدّ سلطة الكيومينتانغ الثوري الذي يضمّ شيوعيين يعملون في تكتل مع يسار الكيومينتانغ؛ ضدّ ما من سلطة أخرى قائمة في المنطقة سوى سلطة الكيومينتانغ الثوري.

ويعني أيضا أن نخلط بين مهمّة تأليف وتقوية منظمات العمال والفلاحين الجماهيرية - على هيئة لجان الإضراب، التعاونيات الفلاحية، لجان الفلاحين، المجالس النقابية، لجان المصانع، الخ. - التي يستند عليها الكيومينتانغ الثوري، بمهمّة تركيز نظام سوفيتي من جهة أنّه نوع من سلطة الدولة جديد محلّ قوّة الكيومينتانغ الثوري. ويعني أخيرا عجز عن فهم ما المرحلة التي تحتاز الثورة حاليا في الصين. إنّ ذلك يعني أن نضع في أيدي أعداء الشعب الصيني سلاحا جديدا ضدّ الثورة وهو تمكينهم من نشر أساطير جديدة مفادها أنّ ما يحدث في الصين ليس ثورة وطنية بل زرع «سوفيت موسكو» اصطناعيا. لذا، عندما ترفع المعارضة شعار تأليف السوفيتيات في الوقت الحالي، فإنّما هي تلعب بين أيدي أعداء الثورة الصينية.

تعتقد المعارضة أنّ من غير المناسب أن يشارك الحزب الشيوعي في الكيومينتانغ. لكن ماذا يعني أن ينسحب الشيوعيون من الكيومينتانغ الآن في الوقت الذي تطالب فيه كلّ العصابة الإمبريالية وأعاونها بطرد الشيوعيين من الكيومينتانغ؟ يعني ذلك مغادرة معسكر المعركة والتخلّي عن حلفائهم في الكيومينتانغ لإسعاد أعداء الثورة. إنّ ذلك يعني إضعاف الحزب الشيوعي وعرقله الكيومينتانغ الثوري بتسهيل عمل الكافينياكين في شنغهاي وبتسليم راية الكيومينتانغ، وهي أكثر الزايات شعبية، إلى يمين الكيومينتانغ.

ذلك ما يطلبه، على وجه التحديد، الإمبرياليون والعسكريون ويمين الكيومينتانغ الآن.

إذن، ينتج عن ذلك أنّ المعارضة بإعلانها عن انسحاب الحزب الشيوعي من الكيومينتانغ في الوقت الحالي إنّما هي تلعب في أيدي أعداء الثورة الصينية. إنّ الاجتماع الأخير للجنة حزبا المركزية كانت إذن قد تصرّفت بصحّة كاملة عندما رفضت أرضية المعارضة رفضا صارما ❁

